الحلقة الثالثة

(1) (منظور مكتب علي باشا في القصر) علـي باشـا يفكـر باللحظات السعيدة مع جرترود.. (لنفسه)

علي باشا: آه ما أطراها وما أحلاها! مـا هـذه الكـف الادنـة والأصابع الرشيقة! آه كانت تستجيب لي، وقعت من نفسها.. لـو أنهـا تعلم أنني منذ رأيتها لا أفكر إلا بها.. كان قلبي يرتعش كطائر يـدف.. ما أروع صوتها كأنها حورية تصدح في الجنان.. لابد أن أجد طريقـة للحاق بها إلى ويمر.. رب دعني أحظى بها ولو مرة فيكفينـي الحلـم مدى حياتي، وسأحج بعدها إلى البيت الحرام وأطلـب الغفـران مـن الله..(تدخل زوجته)

الأميرة: أحقا ما سمعت من شهربان بأنك تنوي أن تلحقها بالكلية العسكرية؟

علي باشا: طبعا يا شمس أنا لا أمزح في هذه الشؤون، إن علي أن أخوض معركة لتحقيق ذلك.

شمس الدنيا: لا يا علي.. لا تعرضها للتجربة.. هـذا مخـالف لشرعنا.. خلقت الفتاة للمنزل والأولاد.. إن شهربان لاتنمو كأنثى كمـا شاءت إرادة الله أن تكون، وهذا ليس في صالحها.. كأنك تريد أن تجعل منها رجلا.. أتراك تفعل ذلك لأنني لم أنجب لك غلاما؟ لو كان الأمـر بيدي لملأت لك البيت بالغلمان.. زوجها.. وستنجب لك الأبناء بإرادة الله.. إنها في السن التي يجب أن تتزوج فيها لا أن تدخل الكلية الحربية وتتابع العلوم..

علي باشا: يا إمرأة! إنني أريد أن أسلحها بالعلم والفضيلة.. أريد أن تكون فضيلتها وهي تواجه العالم، لا في العزلة عن هذه الدنيا التـي تتطور ونحن نتخلف عن ركب الحضارة، فان بقينا على ما نحن عليـه فإننا نكون كتاجر ينفق من رأسماله، وسيأتي يوم لن يبق لـه شـيء.. أمم حولنا تسابق الزمن في تطورها.. الشباب والفتيات فيهـا يتعلمـون ويدخلون الجامعات، فلماذا أترك شهربان دون ثقافة ولا علم؟ ماذا يهم مرور بضعة أعوام عليها دون زواج؟ هل تكون أقل نضارة وجمالا في العشرين من عمرها؟لا، بل ستكون أحكم وأعقل وأكثر فهما للحيـاة.. دعيها تأخذ مجدها. إن الزواج المبكر يسرع بها إلى الشيخوخة..

الأميرة : هل أصبحت أنا شيخة في نظرك لأنني تزوجت باكرا؟ ألهذا تنام في غرفة منفردة بحجة أعمالك الكثيرة وعدم رغبتك في إقلاق راحتي؟ ياعلي حقا أن حملي عزيز ولم أنجب إلاّ بعد سبعة أعوام مـن الزواج، ولكن ليس هذا معناه أنني فقدت شبابي.. ربما لو عدنا معـا لرزقنا الله غلاما تسعد به قلبك وتدخله الكلية الحربية على راحتك..

علي باشا: (بضيق) أنا وأنت كبرنا على هذه الأمـور، وأنـا لا أستسيغ تكلف العواطف.. أنا في الخمسين من عمـري ومـا عـادت رغبات الشباب تثيرني..

شمس الدنيا: إنني أنظر إلى نفسي فـي المـرآة ولا أرى شـيئا ينقصني، جميلة ثرية، ربة منزل ممتازة.. لماذا لا أملأ عينيك؟ ألأننـي أنجبت لك بنتا وحيدة ولم أملأ بيتك بالصبيان؟.. إنني لم أرض طموحك ولو كان الأمر بيدي..

علي باشا: لا تقولي هذا يا شمس الـدنيا.. إننـي لا أعتـرض مشيئة الله.. شهربان تملأ علي حياتي، وكل ما في الأمر أنني أريـد أن أعدها فلا أخشى عليها غدر الزمن إذ ليس هناك مـن يحميهـا بعـدي وبعدك إلا نفسها.. أنا لا أهل لي هنا والسلطنة على كـف عفريـت.. أتركيها لي ولا تخشي عليها، دعيها تحقـق طموحهـا، وأنـا وأنـت سنصرف ذهننا إلى آخرتنا.. لقد أخذنا نصيبنا من الدنيا بما فيه الكفاية.. ما رأيك في أن نحج إلى البيت الحرام هذا العام؟

شمس الدنيا: (بسعادة) حقا ما تقول يا علي؟(تقر على الباب)

علي باشا: أدخل..

خادم: سيدي، السفير الألماني في بهو الاستقبال..

(2) (منظور بهو الاستقبال.. بعد التحية)

السفير: جئتك بأسماء الضباط الـذين تخرجـوا مـن مدرسـة فرنكفورت الحربية هذا العام. (يقرأ علي باشا الورقة.. اسم ابن أخـت زوجته، وصهره المأمول فيها وقرب الاسم إشارة بالأحمر.. يمتعض)

علي باشا: أرى أن لا نثير ضجة حول هذا الأمـر.. سـأوفدهم واحدا بعد الآخر في مهمات فيتزوجون فتياتهم زواجا مدنيا ونثبته هنـا حسب التقاليد الإسلامية.

السفير: لا اعتراض عندي على هذا!

(تدخل شهربان وهيلدا بلباس الفرسان)

علي باشا: (إلى هيلدا) هل استمتعت بصحبة شهربان؟

هيلدا: ركوب الخيل شيء رائع..

شهربان: إنها خفيفة الحركة، تتوازن بـشكل جيـد وأعـصابها متينة..

علي باشا: (لهيلدا) اكتبي رسالة لوالدتك، فستفرح كثيـرا بهـا، وابعثي إليها بسلامي وقولي لها أن دعوتنا لزيارتها لا تزال قائمة..

هيلدا: (تومئ برأسها) سأفعل بطيب خاطر.. (نظرة قلقة عديمة الثقة تظهر في عيني السفير).

السفير: إن كتبتها بسرعة أخذتها معـي وأرسـلتها فـي بريـد الممثلية، أو من الأفضل أن أمر في الغد وآخذها.

هيلدا: حسنا (تخرج وشهربان).

(3) (منظور غرفة شهريان.. نافذة كبيرة تطل على البوسفور.. سريران بكلتين معقودتين بشريط أزرق.. تدخل هيلدا وشهريان.. تجلس هيلدا إلى طاولة، وتناولها شهريان ورقا ومحبرة وريشة تـضعها فـي الممسكة وتبدأ بالكتابة)

هيلدا : أتصدقين؟ لا أعرف ماذا أكتب.. أشعر أن أمـي باتـت غريبة عني..

شهريان: لا تقولي هذا يا هيلدا!

هيلدا: لقد تخلت عني، إنني في أعماقي لا أستطيع أن أغفر لهـا بالرغم من كل مجدها الذي حصلت عليه.

شهريان: هذه ضريبة المجد، ولا أظن أنهـا سـعيدة بوضـعها بالرغم مما يبدو عليها من مرح..

هيلدا: أنا إن اخترت أن أكون راقصة باليه، فلن أتزوج أبدا. أو أتزوج وأكون ربة منزل كوالدتك..

شهريان: والدتي ممتازة في كل شيء ولكن تعلقها بـي يعيـق طموحي.. (تدخل والدة شهريان.. هيلدا تسلم عليها بحرارة، ثم تحـاول الكتابة)

الأميرة: (لهيلدا) كيف أمضيت ليلتك يا ابنتي؟ (شهريان تترجم)

هيلدا: نمت نوما مستغرقا بعد الرياضة التـي قمـت بهـا مـع شهريان.

الأميرة: مررت في الليل، ورأيتك حاسرة عنك اللحاف.. جونـا رطب في الليل والناموس يؤذيك.

هيلدا: لم أشعر بشيء.. (تحاول الكتابة.. لا تـستطيع.. علـى الورقة مجرد عبارة أمي العزيزة)

الأميرة: (لشهريان) أريد أن أحدثك ريثما تكتب هيلدا رسالتها.

شهريان: نعم يا أمي.

الأميرة : إن أختي تحدثت إلي، تريد أن تستشف رأيك بابنهـا.. هو معجب بك وفي سهرة المسرح في ويمر كان طوال الوقت ينظـر إليك، ولكنك لا تنتبهين إليه.. تعلمين أنه قد عاد من مدرسة فرنكفورت الحربية مؤخرا، وكفاءته عالية، ومستقبله باهر.. ربما اختاره مولانـا للعمل في مكتبه، أو يرسله واليا على البلقان..

شهريان: إن شعوري نحوه أخوي، لم أفكر به أبدا كزوج محتمل بالرغم من إعجابي بوسامته وشجاعته..

الأميرة: لا تقولي هذا ياشهريان.. الحب يأتي بعد الزواج مـن التكافؤ بين الزوجين.. والإعجاب المتبادل هو أول طريق الحب..

شهريان: ولكنني أخبرتك عن رغبة والدي بإدخـالي المدرسـة الحربية كي أتعلم، وهذا يلائم أيضا طموحي..

الأميرة: (باستياء) ولكنني غير موافقة. لا أجد الأمر طبيعيـا.. يقولون أن الفتيات اللواتي يتعلمن يفقدن القدرة على الإنجاب، وأنا أريد أن أرى ذريتك تملأ علينا القصر، فلا تؤخري زواجـك إلـى الـسن الحرجة فيفوتك القطار.. لا تظني الرجال يرغبون بمن هي أكثر علما، بل بمن هي أطوع وأصبى وأنضر..

شهريان: (متضايقة) أمي لنؤجل حديثنا.. إن هيلدا لا تـستطيع تركيز ذهنها لكتابة رسالة إلى أمها (لقطة على الورقة، لا تظهر فيها إلا كلمة أمي)

(4) منظور باحة المدرسة الحربية.. طلبة يقومـون بتمرينـات الصباح.. تقف عربة عند الباب وينزل منها طالب جديد.. يتوجه رأسا إلى مكتب المدير.. يؤدي التحية العسكرية)

المدير: كم تناسبك البزة العسكرية ياشهريان! كأنك فتى وسيم..

شهريان: سمني اسم فتى يا أبي.. أريد أن يعاملني الجميع كأنني فتى فلا أشعر بالإحراج..

المدير: ولكن عاجلا أو آجلا سيكتشفون أنك فتاة.. أين تـذهبين بشعرك، أم أنك ستبقين طوال الوقت ترتدين الطربوش؟

شهريان: فكرت في الأمر (ترفع القبعة عن رأسها فيتهدل شـعر قصير)

المدير: (يكاد يصعق) ماذا فعلت بنفسك؟

شهريان: (تضحك) لو كنت رأيت أمي صبيحة اليوم على مائدة الإفطار.. تأملتني لحظة وأسرعت إلى غرفتها تبكي..

المدير: (مبتسما) هكذا أفضل..

شهريان: كأنما كنت أرد عليها بأنني مضربة عن الـزواج.. إن أزمة حادة تنشأ بيني وبينها.

المدير: لا عليك، ستعتاد الأمر.. سأسجل اسمك فـي سـجلات الكلية فماذا تحبين أن تتسمى..

شهريان: شاهر، شهريار أي اسم يحلو لك..

المدير: سأسجلك بهذا الاسم.. أنور ابن سعيد باشا الذي قتل في معركة نصيبين وهو يقاتل المصريين.. كان صديقي وولد له ولد فـي اليوم الذي ولدت فيه ولكنه لم يعش طويلا.. تذكري اسمك جيدا.. انـك ولدت بعد استشهاد والدك وعشت في إزمير مع والدتك، ولمـا بلغـت مبلغ الرجال التحقت بالمدرسة الحربية في استنبول، ووالدته هي قريبة زوجة المدير (يكفهر وجهه فجأة) أنا بصراحة لا أستسيغ هذا التزوير.. أين الصدق والشرف العسكري؟ ستكونين كما أنت شهريان ابنة المدير، ليجرأ أحد من الطلبة على معاكستك أو إساءة الأدب.. إن لي غايـة أن أعلمهم احترام الجنس الآخر، هؤلاء الذين نرسلهم إلى أوروبا فيسودون وجوهنا بقلة حيائهم وفجورهم..

(5) (منظور قاعة الدرس في الكلية العسكرية.. يـدخل المـدير وشهريان القاعة.. يهمس المدير إلى الأستاذ بشيء ويخـرج.. تعلـق أنظار الطلبة بشهريان التي تنقل نظرها في المكان وتختار مقعدا آخـر الصفوف وتتوجه إليه.. يتهامس الطلاب ويلتفتون ثـم يعـودون إلـى الانتباه إلى الأستاذ الذي يتوجه بالسؤال التالي)

الأستاذ: ما هي الأسباب التي أدت إلى فشلنا في معركة قونيـة؟ (لا يرفع أحد يده.. ترفع شهريان يدها فيشير إليها الأستاذ أن تقول مـا عندها)

شهريان: كان الجيش التركي في وضع متفسخ تماما.. فقد الثقـة والإيمان بنفسه بعد هزائم عدة متوالية: في نفارين، فـي مـصر، فـي مضيق بيلان.. ما عاد له دور رائد في حماية دار الإسلام.. كان هـم أفراده تهريب الذهب والثراء غير المشروع.. فحقت عليه الهزيمة ولو كان عدده ضعف عدد خصمه..(دهشة بالغة في القاعة)

(6) (منظور قاعة الطعام في قصر علي باشا)

الأميرة: قامت هيلدا بمساعدتنا في تحضير وجبة الطعام.

هيلدا: (بسعادة) أحب أن أتعلم فن المطبخ الشرقي.. أفكر أن أنقل عددا من الأكلات إلى الألمانية وأضعها تحت تـصرف سـفارتنا فـي باريس للتجربة.. بل يمكن أن أقوم بنفسي في تحضيرها فإذا نجحـت فيها واستساغوها أصدرتها في كتاب، وانتفعت بريعه..

الأميرة: (وقد أشرق وجهها) يالك من فتاة عملية! الأمر يـسير علي.. كل يوم بعد صلاة العصر سأنقل إليك بعضا من خبرتي العملية في هذا الفن وشهريان تترجمها لك..

علي باشا : (لزوجته) لم تسألي شهريان عن تجربتها الأولى في المدرسة الحربية..

الأميرة : أنا لا أبالي بهذا الأمر لأنها لن تنتفع به.. (شـهريان صامتة)

علي باشا : (لشهريان) كان أستاذ التـاريخ مدهوشـا باتـساع ثقافتك.. أنى لك هذا؟

شهريان : من الإصغاء، ألم أسمع ما قاله السفير عن ضـباطنا الذين أوفدوا إلى فرنكفورت للتدريب؟ فإذا كانوا يتصرفون هكذا في بلد أجنبي، فكيف يتصرفون في بلاد يعتبرونها من أملاكنا؟ أتدهش بعـد ذلك من الانتفاضات والهزائم؟

الأميرة : (بقلق) هل تحدث شيئا عن ابن أختي بهجت؟

شهريان : تحدث بشكل عام..

علي باشا : (غاضبا) بهجت! كان على رأس القائمة المسيئة التي أتاني بها السفير.. عند المساء سأذهب إلى الباب العالي، وأرى كيـف نلملم الفضائح والتصرفات غير المسؤولة التي يقومون بهـا فـي بلـد صديق وحليف..